رؤية تتجاوز حدود الزمان:

حتى يكون السلام لنا.. وليس علينا...!

أحمد طلعت

سوف أسمح لخيالى ـ فى هذا المقال أن يسرح بعيدا ، وأن يتجاوز قيود الزمان والمكان ، ليصل الى نقطة يرى فيها مؤتمر جنيف وقد انعقد ، ومعاهدة الصلح وقد وقعت ، واسرائيل وقد انسحبت الى حدود ما قبل ٥ يونيو ، مفسحة المجال لدولة فلسطينية ـ مستقلة ـ وذات سيادة ، تقوم على أرض الضفة الغربية وقطاع غزة ٠

ثم سوف أسمح لخيالى ـ بعدها ـ أن يتصور شكل العالم العربى ، وصورة العلاقات الدولية بعد ذلك كله ٠

ولست أقصد « بشطحة » الخيال هذه ، أن أهرب من واقع تعيش فيه أمتنا ، باحثة عن سلام عادل ودائم ، بعد حروب استمرت أكثر من ثلاثين عاما ، لقيت فيها من الهزائم أكثر مما لقيت من انتصارات ، وأضاعت فيها من الجهد والنفقات ، وفلذات الاكباد ، ما أثقل كاهل أجيال بطولها ، وخزائن دول كان ينبغى أن تتجه نفقاتها الى اللحاق بركب الحضارة ، ورفع مستوى شعوبها النامية ، ولا أقول المتأخرة ـ تأدبا ـ بدلا من اضاعتها وراء سراب من الامل بقى عند أصحابه أقرب الى غيبوبة المخدرات منه الى واقع التحدى والاصرار ٠

لست أريد أن أهرب من الكتابة عن مؤتمر جنيف والتحضير له ، والابتسامات التى تبادلها زعماء الدول المعنية بأزمة الشرق الاوسط ، حتى كادت شفاههم تتمزق من فرط هذه البسمات ، ولست أريد أن أهرب من الكتابة عن احتمالات نجاح المؤتمر ، ومشاركة الفلسطينيين فيه ، أو الانتخابات التى تجرى فى اسرائيل بعد أيام وانعكاسات نتائجها على المؤتمر وموقف المفاوض الاسرائيلى فيه بالنسبة لموضوع الانسحاب ٠

لست أريد أن أهرب من كل ذلك ففيه ما يستحق الكتابة ، سواء كانت الكتابة باسمة بالامل ، أو مخنوقة بالاهات ٠

لكننى أترك ذلك الان ، عن اعتقاد منى بأن ما بعد المؤتمر ونجاحه ، أدعى للكتابة ـ وأجدى ـ من مؤتمر قد يطول الاعداد له أو يقصر ، ويحضره الفلسطينيون بوفد مستقل ، أو بوفد فيدرالى ، لكن نتيجته واحدة ، فقد اتفقت عليها القوى الاعظم مقدما أو هى فى سبيلها للاتفاق عليها ٠٠!!

دون أن يقلل ذلك من قدر الجهود المبذولة من أجل السلام ٠

○●○

غير اننى ـ قبل أن أسمح لخيالى بأن يتجاوز حدود الزمان والمكان سوف أحاول أن أستخلص صورة الواقع الدولى فيما يتعلق بأزمة الشرق الاوسط ، والذى أراه أمامى على النحو التالى :

● اسرائيل تحتل كامل الارض الفلسطينية ، الى جانب أراض لثلاث دول عربية أخرى ، مستقلة وذات سيادة ٠

● واسرائيل تحمى احتلالها لهذه الاراضى بقوة مسلحة ، قادرة وفعالة ، يعززها امداد أمريكى من السلاح لا ينضب ، الى جانب تصنيع حربى فى اسرائيل ذاتها ، يصل الى حد انتاج الطائرات ، ويوشك أن يقترب من انتاج أسلحة الدمار الذرى ٠

● الدول العربية ـ فى صراعها مع الشرق والغرب ـ تحاول تنويع مصادر سلاحها وتدفع ثمنه بقوت شعوبها ، الى جانب قوات مسلحة تقف على خط المواجهة مع اسرائيل ويصل عددها الى نحو مليون جندى ٠

● الكتلة الاشتراكية ـ فيما عدا رومانيا ـ قطعت علاقاتها السياسية مع اسرائيل فى أعقاب عدوان عام ١٩٦٧ ، ووضع الاتحاد السوفيتى بعض العراقيل أمام هجرة اليهود السوفيت الى اسرائيل ٠

● الدول الافريقية ـ تضامنا مع العرب حينا ، وحرصا على دعمهم الاقتصادى حينا آخر ـ قطعت هى الاخرى علاقاتها السياسية باسرائيل ، وعطلت نشاط اسرائيل الاقتصادى فى أراضيها ٠

● مقاطعة عربية لاسرائيل تصل الى حد ادراج الشركات العالمية التى تتعامل مع اسرائيل فى قائمة سوداء بحيث يتعذر على هذه الشركات التعامل فى دول المقاطعة العربية ٠

● وأخيرا ، دعم للعرب من كتلة عدم الانحياز ـ أدبى أو معنوى ـ الى جانب قرارات من المنظمات الدولية ، تكدست فوق بعضها البعض ٠

○●○

وهنا ينطلق الخيال ـ بغير حدود ـ ليتصور صورة الواقع الدولى بعد انعقاد مؤتمر جنيف ، وتوقيع معاهدة الصلح ، وانسحاب اسرائيل ٠

طائرة النقل العسكرية المصنوعة فى اسرائيل والمـــزودة برشاشين عيار ٧ر١٢ مـــم وصاروخين من عيار ١٨ر٧ مم الى جانب رشاش ثالث فى مؤخرة الطائرة ·· باعت اسرائيل من هذه الطـــائرة الى بوليفيا ونيكاراجـوا والاكـــوادور والمكسيك وسلفادور ، وكلهـــا من دول أمريكا اللاتينية ·

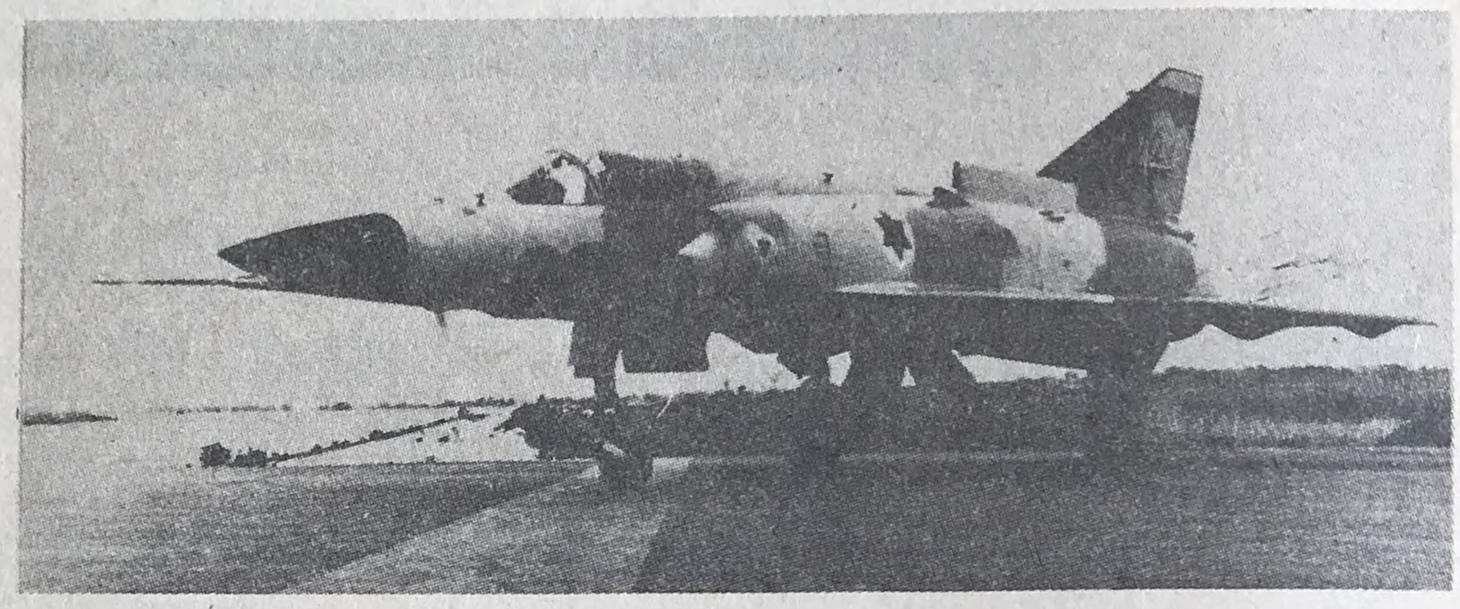

الطائرة المقاتلة « كفيـــر » المصنوعة فى اسرائيل والمـــزودة بمدفعين عيار ٣٠ مـــم الى جانب أربعة أطنـــان من الصـــواريخ والقنابل ·

وتصميم هذه الطائرة سبق أن سرقته اسرائيل من فرنسا ، وعدلته حتى أصبح أبعد مدى وأعلى كفاءة من الطراز المسروق !

وقد يجد الخيال أن هناك عدة عوامل سوف تفرض نفسها على طرفى السلام ، بـــدلا من عوامل أخرى كانت تفرض نفســـها على طرفى القتال ·

أولا : على الجانب العربى :

☐ تجـــد بعض دول المواجهة العربية ـ من ظروف الســـلام ـ مبررا لخفض قواتهـــا المسلحة ، ونفقاتها العسكرية ، توفيرا لاموال تسدد بهـــا ديونها ، أو ترفع من مستوى شعوبها ·· وقد طال بهـــا الانتظار على هذه ، وتلك ·

☐ تسقط المقاطعة العربيـــة لاسرائيل ، ومعهـــا القـــوائم السوداء ، فالمقاطعة اجـراء يقوم مع وجـود حالة الحرب ، وينتهى بانتهائها ، فتتجـــول الســـفن والطائرات الاسرائيلية فى موانىء العرب ومطاراتهم ، ولا بأس على الشركات الكبرى اذا فتحت فروعا لهـــا فى اسرائيل ، وفى الدول العربية ، فى آن واحد ·

☐ تعود العلاقات بين الكتـــلة الاشتراكية واسرائيل ، كما تعود العـــلاقات بين الدول الافريقية وبينها ، وهى العلاقات التى قطعت بسبب الحرب ، ولا مبرر لبقائهـــا مقطوعة مع السلام ·

☐ قـــرارات الامـــم المتحدة ومجلس الامن يؤشر عليها بالحفظ ، فتنتقل من أرفف المنظمـــة الدولية التى يغطيها التراب الى سراديبها التى يملأها الظلام ·· !!

☐ ثم يتسابق المؤلفـــون فى العالـم العربى ـ أو بعضهم على الاقـــل ـ فى انتاج أغانى النصر والسلام ، لتغنى على نغمات تأخذ العقول وتأسر الالباب ·

ثانيا : على الجانب الاسرائيلى

☐ يتحرك الاقتصاد الاسرائيلى ـ وهو نشـــط بطبيعته ـ ليفسح لنفسه مجـــالا فى معظـــم الدول الافريقية والنامية ، الخبرة ورأس المـال من عنده ، والمـواد الخام من عندها ·

☐ يظل الامـــداد الامريكى من السلاح متدفقا ، بدعـوى مساعدة اسرائيل على حماية الســـلام ومواجهـــة تحدياته ، فان قصـر الامداد الامريكى ـ أو تبـــاطأ ، فالصـــناعات الحربية الاسرائيلية ماضية فى طريقهـــا ، تعوض كل نقص ، وتوفر كل زيادة ·

☐ تتجه أعـــداد من الشباب الاسرائيلى ـ كانت تحـــت الطلب فى زمن الحرب الى مجالات التنمية مع خبرة موفرة وتقنية متطورة ، الى جانب أعداد أخرى من المهاجرين اليهـــود الى اســـرائيل أرض (السلام) ، وكانت تفتر من عزمهم على الهجرة فى الماضى مخـاوف الحرب ومحاذيرها ·

☐ صناعة اسرائيلية متطورة ـ تتوفر لها ساعتها اليد العاملة ـ تغزو أسواق العالـــم ، وتعـــزز عائداتها مقـــدرة الاقتصـــاد الاسرائيلى ونموه ·

☐ كل ذلك الى جانب اطمـــاع اسرائيلية بالتوسع ، قد تبقيهـــا ورقة الســـلام مكبوته ، لكنها لا تستطيع أن تدفنها الى الابد ·

○●○

والتمس العذر مقدما لقارئى اذا قال بأن شطحة الخيال هذه لم تر من المستقبل الا أعتـــم صورة ، لكننى سوف أبادر فأقول له ان ذلك لم يكن ـ بالقطع ـ قصدى ، وانما القصد من هذه الرؤية المستقبلية ، أن يتنبه العرب الى أن الســـلام ليس هو آخر المطاف ، لكنه البداية لصـــراع حقيقى ، حضـــارى واقتصـــادى على أرض الشرق الاوسط ·

ليس المهـم أن تكون الاحتمالات محفوفة بالمخاطر ، لكن المهم حقيقة هو أن تكـــون لدينا الرؤية التى تتجاوز حـــدود الزمان والمكان ، بحيث تـــرى احتمالات المســـتقبل وتكيف نفسها لمواجهتها ·

ودون أن أقصد أن يكون كلامى حماسا أجـــوف ، فاننى أقول بأن العرب يملكون :

- **التفوق البشرى عددا ·**
- **والثراء الطبيعى مصادرا ·**
- **والاتساع الجغرافى واقعا ·**

وليس أمام العرب لمواجهة مخاطر السلام ، ولصيانته ، الا دراســـة جادة ـ ومنذ الان ـ لمصادر قوتهم ووسائل استثمارها حضـــاريا ، واقتصاديا ، وسياسيا ·

وقدر العرب أن يطوروا ـ حتى مع السلام ـ قدراتهم على انتاج السلاح ، وان لا يصرفهم الســـلام عن هذا القدر ، مهما كانت نفقاته حتى يظل السلام سلام الاقوياء ، ولا يتحول الى استسلام المغلوبين على أمرهم ·